

الإمام المَشْدَّالِي وآراؤه الكلامية والاعتقادية

-دراسة في مخطوط شرح المقدمة العقدية لمتن الرسالة القيروانية-

Imam al-Mashthali and his theological and creedal opinions

A study in the manuscript explaining the doctrinal introduction to the Kairouanese message.

محمد عبد اللطيف شافعي¹

جامعة الجزائر - 1-

Moha350@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/12/01 القبول 2022/01/21 النشر على الخط 2022/05/10

Received 01/12/2021 Accepted 21/01/2022 Published online 10/05/2022

ملخص:

الإمام ناصر الدين المَشْدَّالِي مفتي بجاية وفقهها أحد أعلام الجزائر في القرن السابع الهجري كان له أثر بارز في الحركة العلمية في الجزائر خلال هذه المرحلة، فهو ينتمي إلى أحد العوائل العلمية الشهيرة وقد اعتنى به أبوه عناية بالغة منذ صغره فكان حريصا على حضوره عند كبار المشايخ في بلده، وهذا المقال الذي بين أيدينا يكشف لنا عن جهود الإمام ناصر الدين المَشْدَّالِي في علم الكلام والعقيدة من خلال شرحه للمقدمة العقدية لمتن الرسالة القيروانية وهو أحد المتون العلمية المشهورة في الغرب الإسلامي فقد اعتنى به العلماء كثيرا، وهذا الشرح الذي اعتمدنا عليه في بيان الآراء الكلامية والعقدية للإمام ناصر الدين المَشْدَّالِي لا يزال مخطوطا ولعله هو الأثر الوحيد بين أيدينا من مؤلفات هذا الإمام الكبير.

الكلمات المفتاحية: المَشْدَّالِي - الرسالة القيروانية - مخطوط - علم الكلام.

Abstract:

Imam Nasir al-Din al-Mashthali, Mufti of Bejaia and its jurist, one of the great figures of Algeria in the seventh century AH, had a prominent impact on the scientific movement in Algeria during this stage. His country, and this article that we have before us reveals to us about the efforts of Imam Nasir al-Din al-Mashthali in theology and creed through his explanation of the creedal introduction to the Kairouanese message, which is one of the well-known scholarly texts in the Islamic West. The doctrine of Imam Nasir al-Din al-Mashthali is still in manuscript, and perhaps it is the only trace we have of the writings of this great imam.

Keywords: al-Mashthali - the Kairouanese message - manuscript – theology.

البريد الإلكتروني: moha350@gmail.com

¹ المؤلف المراسل: شافعي محمد عبد اللطيف

تمهيد:

لقد كانت بجاية في القرن السابع والثامن الهجري حاضرة من حواضر العلم تنافس الحواضر الكبرى في العالم الإسلامي ومنازة من منائر الإسلام التي ملأت الدنيا علما وهدى ونورا، وستناول في هذا المقال علما من أعلامها وهو الإمام أبو علي ناصر الدين المشدالي الذي أحاط بعلوم المنقول والمعقول فصار يلعب بمفتي بجاية وفقهها وعالمها وقد كرس حياته للعلم والتدريس فتخرج على يديه الكثير من العلماء والطلبة، وسنكشف هنا جانباً من جوانب الشخصية العلمية للإمام ناصر الدين وهي شخصية المتكلم المنافع عن عقائد الإسلام وهذا من خلال نظرة فاحصة في مخطوط شرح المقدمة العقدية لمثن الرسالة القيروانية نسلط من خلالها الضوء على الآراء الكلامية والاعتقادية للإمام أبي علي ناصر الدين المشدالي.

أولاً: ترجمة الإمام المشدالي:

1/ اسمه ونسبه:

الإمام الفذّ الأوحد الحافظ العلامة المجتهد منصور بن أحمد بن عبد الحق بن سدرمان بن فلاح بن تميم بن فائد بن يعلي⁽¹⁾، أبو علي، الملقب بناصر الدين⁽²⁾، الزّواوي⁽³⁾، البجائي، المشدالي، بفتح الميم وشد الدال، نسبته إلى مشدالة إحدى قرى بجاية وقيل هي بطن من بطون زواوة⁽⁴⁾، أما طريقة نطقها الآن في منطقة القبائل فهي بإسكان الميم وتشديد الدال أي مشدالة ولعلّ السبب في تغيير أهل المنطقة الدال بالدال هو أثر الاستعمار الفرنسي في المنطقة لأن اسم مشدالة يكتب باللغة الفرنسية ويُنطق بالدال لعدم وجود حرف الدال في الأبجدية الفرنسية، وربما يتساهل بعضهم فينطقها بفتح الميم وإسكان الشين، أما الآن في الوقت الحالي فهذه المدينة هي دائرة من دوائر ولاية البويرة وأصبحت دائرة بعد التقسيم الإداري عام 1984م، وتوجد في الشمال الشرقي لولاية البويرة حيث تبعد عنها بحوالي 45 كلم وعدد سكانها الإجمالي ببلدياته الستة 84656 ألف نسمة في عام 2004م، وجلهم يتكلمون الأمازيغية والبعض يحسنون التكلم بالعربية الفصحى والبعض يتكلم بالدارجة، والمنطقة من الناحية الجغرافية هي منطقة ذات طابع جبلي يحدها من الشمال سلسلة جبال جرجرة⁽⁵⁾.

- 1- كذا أثبت نسبه ابن حجر، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، 125/6، ت: محمد عبد المعيد خان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م.
- 2- قال العبدري: "ويلقب بناصر الدين لقبا لزمه من المشرق". رحلة العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد ابن سعود العبدري، ص: 561، ت: علي إبراهيم كردي، الناشر: دار سعد الدين، الطبعة: الثانية، 2005م.
- 3- للمزيد حول تاريخ مدينة زواوة وأعلامها انظر: تاريخ الزواوة، انظر: تاريخ الزواوة، محمد السعيد، أبو يعلى الزواوي، مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي، الناشر: منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، الطبعة: الأولى، 2005 م.
- 4- قال ابن مخلوف: "ومشدالة قبيلة من زواوة". شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، 312/1، علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.
- 5- انظر: الدلالة في تاريخ علماء امشدالة، مفتش التعليم القرآني إبراهيم مقلاتي، ص: 03، بدون معلومات الناشر، الطبعة: الأولى، الجزائر - 2005م.

وينتسب إلى مَشْدَالَة علماء وفقهاء آخرون منهم: محمد بن محمد بن أبي القاسم أبو الفضل⁽¹⁾، ووالده بلقاسم بن محمد بن عبد الصمد الزواوي⁽²⁾، وعمران بن موسى نزيل تلمسان أبو موسى، صهر أبي علي ناصر الدين المشدالي على ابنته⁽³⁾، وغيرهم.

2/ مولد ونشأته: وُلِدَ الإمام المشدالي سنة 632 هـ كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر⁽⁴⁾، والصواب غير ذلك قال التّجيب في رحلته: "أخبرني أنّ مولده سنة إحدى أو اثنين وثلاثين وستمائة، وقد كان كتب قبل ذلك أن مولده سنة إحدى وثلاثين بلا شك"⁽⁵⁾، وعلى هذا يكون مولده سنة 631 هـ⁽⁶⁾ بمدينة بجاية التي نشأ وترعرع بها وأخذ عن شيوخها وعلمائها في مراحل الأولى قبل أن يرحل ويعود إليها مرّة أخرى، ولهذا ذكره الغبريني في علماء بجاية⁽⁷⁾، ولا تسعفنا المصادر بذكر أسماء شيوخه الذين أخذ عنهم بمدينة بجاية سوى أبيه ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى ارتحاله صغيراً إلى المشرق قال التّجيب في رحلته: "رحل للشرق صغيراً مع أبيه وبه قرأ وتفقه"⁽⁸⁾، وأغلب الظنّ أنّه أخذ عن والد القرآن الكريم وجمله من المتون التي تعتبر مبادئ العلم في كلّ فنّ.

3/ رحلته وشيوخه: لقد ارتحل الإمام المشدالي مع والده إلى المشرق وهو صغير فزار فيها مصر والشّام وأخذ عن شيوخها وعلمائها واستمرت رحلته العلمية نيفاً وعشرين سنة، قال ابن رشيد في رحلته: "رحل في صغره إلى مصر مع أبيه فقرأ بها وتهدبت أخلاقه ورقّت طباعه"⁽⁹⁾، ومن جملة المشايخ الذين أخذ عنهم:

*** / الإمام العز بن عبد السلام:** شيخ الإسلام وبقية الأعلام الشّيخ عز الدين السّلمي الدّمشقي الشّافعي، دَرَسَ وأفتى وصنّف، وبرع في المذهب، وبلغ رتبة الاجتهاد، وقصده الطلبة من البلاد، وتخرج به أئمة، ولي قضاء مصر مع خطابة جامع

1- من أشهر علماء المالكية في عصره، انظر ترجمته في: مُعْجَمُ أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، عادل نويهض، ص: 300، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1400 هـ - 1980 م.

2- أخذ عن العالمين أحمد بن عيسى وعبد الرحمن الوغليسي وغيرهما، وأخذ عنه الإمام أبو زيد التّعالبي وغيره، وكان موصوفاً بحفظ المذهب وهو في بجاية كالبُزْلي بتونس. انظر ترجمته في: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكي السوداني، أبو العباس، 223/5، ت: عبد الحميد عبد الله الهرامة، الناشر: دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، الطبعة: الثانية، 2000 م.

3- كان فقيهاً حافظاً علامة محققاً كبيراً، أخذ عنه العلامة المقرئ وغيره، قال المقرئ: "فرّ صاحب الترجمة من حصار بجاية إلى الجزائر، فبعث إليه فيه صاحب تلمسان وقربه وأحسن إليه فدرس بها الحديث والفقه والأصول والفرائض والمنطق والجدل، وكان كثير الاتساع في الفقه والجدل". انظر ترجمته في: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، 223/5، ت: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، 1997 م.

4- انظر: الدّرر الكامنة، 125/6.

5- انظر: نيل الابتهاج، التنبكي، 223/5.

6- وجزم به ابن مخلوف، انظر: شجرة التّور، 312/1.

7- فقال: "أبو علي منصور بن أحمد ابن عبد الحق المشدالي من أصحابنا ومعاصرينا في نفس الوقت، رحل إلى المشرق ولقي أفاضل". عنوان الدّراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس الغبريني، ص: 229، ت: عادل نويهض، الناشر: منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية، 1979 م.

8- انظر: نيل الابتهاج، التنبكي، 223/5.

9- الدّرر الكامنة، 125/6.

مصر⁽¹⁾، وهو أكثر من لزمه المشذالي من العلماء وانتفع بعلمه كثيرا واهتدى بهديه⁽²⁾، قال العبدري في ترجمة المشذالي: "المشرق وقد دخل قديما إليه فقرأ به الأصول والفروع دراسة وتفقهها، وله منها حظّ وافر"⁽³⁾.

***/ الشرف المرسى:** محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل، أبو عبد الله، شرف الدين، الأندلسي المُرسي، الإمام الأوحّد، المحدث، المفسر، النّحوي⁽⁴⁾، أخذ عنه الإمام المشذالي وسمع عنه قال المكيّ: "سمع على العلامة شرف الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسى كتاب الشفا للقاضي عياض بسماعه من أبي عبد الله الحجري بسماعه من المؤلف"⁽⁵⁾، ولزمه مدّة من الزّمان حتّى أنّه حضر وفاته⁽⁶⁾.

كما أخذ المشذالي عن جملة من العلماء لا نطيل بذكر تراجمهم كالشيخ صدر الدين سليمان الحنفي وشرف الدين ابن السبكي وشمس الدين الأصبهاني⁽⁷⁾، وسمع صحيح مُسلم وموطأ أبي مُصعب على أبي إسحاق بن مُضر⁽⁸⁾ وعلى القطب القُسطَلانيّ جامع التّرمذي⁽⁹⁾، وروى عن ابن الحاجب وهو أول من أدخل مختصر شيخه المذكور الفرعي ببجاية ومنها انتشر بسائر بلاد المغرب⁽¹⁰⁾، وكذلك مختصره الأصولي رواه الإمام الشّاطبيّ بسنده عنه⁽¹¹⁾، وخلال هذه الرحلة الطّويلة قام بتحصيل جملة من العلوم والمعارف، قال ابن حجر: "نبغ ورجع بعلوم جمّة من الأصول والفقه والأدب والكلام والتصوف وجمع تصانيف وأقبل على العبادة والاشتغال

- 1- ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمسمائة وتوفي سنة ستين وستمائة. انظر ترجمته في: فوات الوفيات، محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدين، 350/2، ت: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى.
- 2- انظر: نيل الابتهاج، التنبكي، ص: 610.
- 3- رحلة العبدري، ص: 561.
- 4- مات متوجّهاً من الشّام إلى مصر سنة خمس وخمسين وستمائة، ومولده ببلده مرسية سنة سبعين وخمسمائة. انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، 786/14، ت: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003م، العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ص: 342، ت: أيمن نصر الأزهرى - سيد مهني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م.
- 5- ذيل التقييد في رواية السنن والأسانيد، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، 284/2، ت: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1410هـ/1990م.
- 6- قال العبدري: "وقد حدثني أنّه حضر وفاة أبي عبد الله محمد بن أبي الفضل السلمي بالزّقة من رملة الشّام". رحلة العبدري، ص: 561.
- 7- انظر: عنوان الدّراية، الغريبي، ص: 229.
- 8- المُسند المعمر رضي الدين أبو إسحق إبراهيم بن عمر بن مُضر بن فارس الواسطيّ، انظر سماع المشذالي منه في ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي، ص: 289، ت: عبد الله العمراني، الناشر: دار الغرب الاسلامي - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، 1403هـ.
- 9- انظر: الدّرر الكامنة، 125/6.
- 10- انظر: شجرة النور، 312/1.
- 11- انظر: برنامج المجاري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد المجاري الأندلسي، ص: 118، ت: محمد أبو الاجفان، الناشر: دار الغرب الاسلامي - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، 1982م/ 1400.

بِالْعِلْمِ"⁽¹⁾، وأكثر ما كان نبوغه في الفقه حتّى نال فيه درجة عالية⁽²⁾، واستحق لقب إمام المالكية في بجاية⁽³⁾، بل قال بعضهم أنّه بلغ درجة الاجتهاد⁽⁴⁾.

4/ تلاميذه ومؤلفاته: بعد أن استكمل الإمام المشدالي علوم الآلة والمقاصد عاد إلى بلده بجاية لينشر علمه هناك، قال الغبريني: "له علم بالفقه وأصول الدين، وله مشاركة في علم المنطق وعلم العربية وكل هذه تُقرأ عليه، ودروسه حسنة منقحة، وله عبارة جيدة، وهو كثير البحث، ومحبته في البحث أكثر من محبته في النقل، ويتكلّم على تفسير كتاب الله تعالى وحديث رسول - صلى الله عليه وسلم - فيجيد وهو من أهل الشورى وأهل الفتيا"⁽⁵⁾، وقد رحل إليه جملة من الأعلام وعبروا إليه البحر⁽⁶⁾ ومن هؤلاء ابن مرزوق الجد⁽⁷⁾، والقاضي ابن سلمون⁽⁸⁾، وأبو القاسم الغبريني⁽⁹⁾، وأبو علي منصور الزواوي البجائي⁽¹⁰⁾، والبلفيقي أبو البركات⁽¹¹⁾، وأبو عبد الله المسفر البجائي⁽¹²⁾، وأبو العباس البجائي⁽¹³⁾، وأحمد بن العباس النقاسي أبو العباس⁽¹⁴⁾، وأبو طيبة بن أحمد بن أمين الآفشهري⁽¹⁵⁾، وصهره الفقيه عمران المشدالي⁽¹⁾، وغيرهم كثير لا يسع المقام لذكرهم جميعاً.

- 1- الدّر الكامنة، 125/6.
- 2- قال التحيبي: "اطلع على مذاهب الأئمة خصوصاً مذهب مالك فإنه انفرد بمعرفته والقيام بتقريبه ونصرت به يصور ويحرر ويمهد ويقرر ويشرح ويرجح، مع ثقب ذهن وصحة استنباط وفهم". نيل الابتهاج، التنبكي، ص: 610.
- 3- انظر: رحلة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ت: محمد بن تاويت الطنجي، ص: 241، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م.
- 4- قال الخطيب ابن مرزوق الجد: "قد وصل شيخنا أبو علي درجة الاجتهاد، سمعته من جماعة من أصحابه كالفقيه السفر والفقيه محمد بن الكاتب والفقيه عمران المشدالي وغيرهم ممّن سمع كلامه وكان السامع مضطرباً بالعلوم بما يدرك به تفننه في تأليفه وأجوبته في النوازل المختلفة والفنون المتباينة لم يبعد إدراكه هذا الرتبة وبلوغه تلك الدرجة". نيل الابتهاج، التنبكي، ص: 610.
- 5- عنوان الدّرية، الغبريني، ص: 230.
- 6- كابن الحاج البلفيقي أبو البركات، قال الجذامي: "وعبر البحر إلى بجاية؛ فأدرك بها المدرس المعمر أبا علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي، وحضر مجالسه العلمية". المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (تاريخ قضاة الأندلس)، أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي التّباهي المالقي الأندلسي، ص: 164، ت: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت/لبنان، الطبعة: الخامسة، 1403 هـ - 1983 م.
- 7- ممّا أخذه عليه الموطأ وصحيح مسلم، قال ابن مرزوق: "وقرأت بعضه وتناولت سائر ببجاية من يد شيخنا الإمام المعمر أبي علي منصور بن أحمد المشدالي". ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي، ص: 278، وانظر: ص: 288، وانظر: الدّر الكامنة، 125/6.
- 8- وهو ممّن أخذ عنه إجازة، انظر: المرقبة العليا، ص: 167.
- 9- أخذ عنه القراءات، انظر: غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدّين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، 28/2، الناشر: مكتبة ابن تيمية.
- 10- قرأ عليه جملة من مختصر ابن الحاجب، انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، 249/3، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ، نيل الابتهاج، التنبكي، ص: 610.
- 11- أخذ عنه الموطأ، انظر: رحلة ابن خلدون، ص: 241.
- 12- انظر: برنامج المحاري، ص: 117.
- 13- انظر: شجرة النور، 312/1.
- 14- انظر: معجم أعلام الجزائر، نويهيض، 312/1.
- 15- انظر: ذيل التقييد، أبو الطيّب المكّي، 285/2.

أما مؤلفاته فلم نقف له إلا على عنوان واحد وهو شرح الرسالة القيروانية سواء في كتب الفهارس أو في كتب التراجم، وسبب ذلك يعود ربما لاشتغاله بالتدريس أكثر من التأليف وهذا الشرح غير تام لم يكمله كما أشار إليه من ترجم له وكما وقفنا عليه⁽²⁾، وهذا الشرح الجزء الثاني منه مخطوط محفوظ في مكتبة الأسكوريال وهو يقع في 157 لوحة يبدأ بباب وقت صلاة الظهر وينتهي بقول الناسخ: "تم الثاني من شرح الرسالة للشيخ الإمام الفاضل العامل مفتي المسلمين ناصر الدين أبي علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي رضي الله عنه وهو جميع ما ألفي له على رسالة الشيخ الفاضل العالم العَلَم أبي محمد عبد الله ابن أبي زيد رضي الله عنه"⁽³⁾، وهذا يؤكد لنا ما ورد في كتب التراجم أنه -رحمه الله- لم يكمل شرحه، أما الجزء الأول وهو المتعلق بشرح المقدمة العقديّة فهو مخطوط محفوظ في مكتبة كوبريلي⁽⁴⁾ بتركيا وهو موضوع مقالنا هذا.

وقد وجدت إشارة عند الأستاذ محمد محفوظ أنّ للمشدالي شرحا على مختصر ابن الحاجب الفرعي المسمى بجامع الأمهات⁽⁵⁾، ولم أجد هذا في كتب الفهارس ولا في أيّ كتاب من كتب التراجم التي وقفت عليها وربما يقصد أنّه كان يشرحه للطلبة ويقوم بتدريسه وهذا صحيح لأنّه أول من أدخل هذا الكتاب إلى الغرب الإسلامي، والله أعلم.

05/ وفاته: توفي المشدالي في بلدته بجاية عام 731 هـ بعد عمر مديد بلغ مائة سنة قضاها في العلم والتدريس⁽⁶⁾.

ثانيا: الإمام المشدالي وآراؤه الكلامية والاعتقادية من خلال مخطوط شرح المقدمة العقديّة لمتن الرسالة القيروانية:

1/ وصف النسخ المعتمدة: يوجد من هذا المخطوط نسختان: الأولى: محفوظة بخزانة كوبريلي في تركيا تحت رقم: 846، وهي مكتوبة بخط النسخ وعدد أوراقها 77 ورقة بمقياس 10*12 سم ومسطرتها 15 سطرا، كُتبت في حدود سنة 800 هـ⁽⁷⁾ بخط مقروء وواضح وعناوينها مكتوبة بالأحمر، أما النسخة الثانية: فهي محفوظة بالخزانة الحمزاوية في المغرب تحت رقم: 702 ضمن مجموع وهي مكتوبة بخط أندلسي قديم وعدد أوراقها 29 ورقة بمقياس 15*21 سم ومسطرتها 27 سطرا، وهي نسخة مبتورة

1- قال ابن خلدون: "الفقيه عمران المشدالي من تلاميذ أبي علي ناصر الدين، وتفقه عليه، وبرز في العلوم إلى حيث لم تلحق غايته". ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشيلي، 543/7، ت: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.

2- قال الغبريني: "وله شرح على رسالة أبي محمد ابن أبي زيد ولم يستكمله، وهو لا بأس به". عنوان الدراية، ص: 230.

3- شرح الرسالة، أبو علي ناصر الدين المشدالي، اللوحة 157-ب، مخطوط محفوظ بمكتبة الأسكوريال تحت رقم: 1129.

4- انظر: فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي، 414/1، الناشر: منظمة التعاون الإسلامي، اسطنبول 1986 م.

5- قال محمد محفوظ في ترجمة ابن القلشاني: "مؤلفاته: شرح على ابن الحاجب الفرعي في غاية الحسن والاستيفاء والجمع والتحقيق، والبحث في ألفاظه أفرادا وتركيبا، بما يدل على سعة علمه وقوة إدراكه وجوده نظره وإمامته في العلوم، ينقل فيه كلام ابن عبد السلام، ويذيله بكلام غيره من الشراح كابن راشد، وابن هارون، والناصر المشدالي و خليل، وابن عرفة، وابن فرحون، وغيرهم". تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، 105/4، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1994 م.

6- قال الشيخ منصور الزواوي تلميذه: "وتوفي عام أحد وثلاثين وسبعمائة، فخصّ مصابه البلاد وعمّ ولفّ سائر الطلبة وضّم لكن ملاً بجاية وأقطارها بالعلوم النظرية والفهم العقلية، وعمره مائة سنة". نيل الابتهاج، ص: 610.

7- انظر: فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي، 414/1، الناشر: منظمة التعاون الإسلامي، اسطنبول 1986 م.

الأول خطّها مقروء وهي الأولى في المجموع جاء في ختامها ما نصه: "كمل شرح العقيدة المباركة بحمد الله تعالى وحسن عونه لأبي علي ناصر الدين رضي الله عنه ورحم الله الناسخ والمالك والقارئ وجميع المسلمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وكان الفراغ منه عام أربعة وتسعين وسبعمئة في شهر شوال الخامس منه وصلى الله على محمد وآله والحمد لله رب العالمين"⁽¹⁾، وعلى هذا فهي منسوخة بعد نصف قرن من وفاة المؤلف، لكننا سنعتمد على النسخة الأولى لأنها كاملة ولأنها خطّها أوضح ومفهوم وتصويرها جيد بعكس نسخة الحمزاوية فإننا نملك مصورة رديئة منها.

2/ ناصر الدين المشذالي مصادره وموارده وطريقته في الشرح: من خلال قراءة مخطوط شرح المقدمة العقدية لمتن الرسالة القيروانية يتبين لنا أنّ الإمام قد اعتمد على مصادر متنوعة بداية بكتب شيخو السنة الأوائل كالأشعري والباقلاني والاسفراييني ثم أئمة أهل السنة من بعدهم كأبي المعالي والفخر الرازي كما اعتمد على أشاعرة الغرب الإسلامي كابن رشد الجد والقاضي ابن العربي كما نقل الإمام عن بعض شيوخه كالعزّ بن عبد السلام ولا ندري هل النصوص التي نقلها عنهم هي ممّا أخذه عنهم مشافهة أم نقلها من بعض كتبهم، والغالب على الإمام أنّه كان لا يصرح بأسماء الكتب التي ينقل منها ومثال ذلك ما نقله عن الإمام أبي المعالي في الفرق بين الصغيرة والكبيرة ولم يُشر إلى مصدره وهو موجود في كتابه الإرشاد بحروفه⁽²⁾، وما نقله عن ابن العربي في لطف الباري سبحانه وأنّه خاص ببعض عبادهم ولم يُشر إلى مصدره وهو موجود في كتابه المتوسط⁽³⁾، ومن الكتب التي صرح بالتّقل عنه كتاب الهداية⁽⁴⁾ للقاضي الباقلاني وهو الموسوعة المسماة بهداية المسترشدين والمقنع في معرفة أصول الدين⁽⁵⁾،

1- انظر: الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الرشيدية، حميد لحيمر، 859/3، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة الأمانة-الرباط، 2009م.

2- انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين الجويني، ص: 391، ت: محمد يوسف موسى، الناشر: مكتبة الخانجي، مصر، 1950م.

3- انظر: الكتاب المتوسط في الاعتقاد والرّد على من خالف السنة من ذوي البدع والإلحاد، القاضي أبو بكر بن العربي، ص: 304، ت: عبد الله التوراني، الناشر: دار الحديث الكتانية، الطبعة: الأولى، 2015م.

4- وقد نقل مقتطفات منه الباحثان دانيال جيماري (Daniel Gimaret) وزابينا شميتكه (Sabine chmidtke)

الأول في مقاله الموسوم بـ:

Un extrait de la Hidayat d'abu bakr al-bakilani : Le Kitab at-tawallud , Réfutation de la thèse mutazilite de la génération des actes, bulletin d'études orientales 58 (2009) p : 259-313.

والثانية في مقالها بعنوان:

Early As'arite Theology abu bakr al-bakilani (d :403/1013) and his Hidayat al-mustarsidin, bulletin d'études orientales, LX ,2011, Ifpo, Damas, p : 39-72. .

5- قال عياض: "الهداية وهو كتاب كبير". المدارك، 69/7، قال السيد أحمد صقر: "وقد بقي من هذا الكتاب مجلد في مكتبة الأزهر يحتوي على 248 ورقة كتبه محمد بن عبد الله العدوي بمدينة صور سنة 459 هـ، ولكن يد البلى قد عاثت فيه وأتلفت كثيرا من أوراقه". مقدمة تحقيق كتاب إعجاز القرآن للباقلاني، ص: 44، وقد ذكر سركين نسخة أخرى له بخزانة القرويين بفاس تحت رقم: 692، انظر: تاريخ التراث العربي، 51/4، وقد ذكرت الباحثة زابينا في مقالها الذي سبق الإشارة إليه أنّ هناك نسختين واحدة في طشقند بأوزبكستان في مكتبته معهد البيروني للدراسات الشرقية، وثانية في سانت بطرس برغ بروسيا في معهد المخطوطات الشرقية التابع للأكاديمية الروسية للعلوم، وقد حصلنا بحمد الله -تعالى- على نسخة من معهد البيروني للدراسات الشرقية، مخطوط مسجل تحت رقم: 3296، ونسخة من الأزهريّة مسجلة تحت رقم: 342 توحيد.

والمعروفة بالهداية وهو من أعظم كتبه على الإطلاق، أما أبرز ملاحظة على أسلوب الإمام المشدالي وطريقته في الشرح هي استعماله أسلوب الفنقلة وهو: "فإن قيل كذا، قلنا" وفائدة هذا الأسلوب بيان الإشكالات والرد عليها وكذا تعليم الطالب النظر النقدي في الحجج وتكوين الخلاف عنده وجعله مستساغاً ومقبولاً بل متوقعا، وهذا الأسلوب الحوارية الجدلي قد دأب المتكلمون والأصوليون على استعماله في تأليفهم.

3/ الإلهيات عند ناصر الدين المشدالي: نلاحظ أن الإمام ناصر الدين قد تابع الشيخ ابن أبي زيد في ترتيب الكتاب وهذا طبيعي لأنه شرح كلامه لكن المشدالي قد أثار بعض المسائل والقضايا التي لم يذكرها صاحب المتن ومن ذلك حكم المقلد وأول واجب على المكلف وهي مسائل نستطيع القول أنها من مقدمات الدرس العقدي عند أئمة أهل السنة والجماعة، قال المشدالي: "وأكثر العلماء على أن التقليد كاف والمقلد مؤمن ومال بعضهم إلى الوقف"⁽¹⁾، ومعنى كلام الإمام ناصر الدين أن التقليد يكفي المكلف في النجاة من الخلود في النار لكن لا يعصمه من دخول النار، قال المشدالي: "لا خلاف أن العلم بالله - تعالى - فرض عين على المكلف وتركه عصيان"⁽²⁾، والمعصية من أسباب دخول النار، أما العلم بالله فيكون بالنظر والتفكير للوصول إلى معرفته - سبحانه - قال المشدالي: "نقل العلماء الإجماع على وجوب المعرفة بالله تعالى"⁽³⁾، وهذا الإجماع يعضده قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} ⁽⁴⁾.

أما إثبات وجود الله فاعتمد فيه الإمام المشدالي على أقسام الحكم العقلي وهي الواجب والمستحيل والجائز لثبت وجود فاعل لا يلحقه ولا يسبقه العدم⁽⁵⁾، ثم انتقل الإمام إلى إثبات قدم الباري وبقائه وجعل دليل ثبوتها هو ثبوت وجود الباري، قال المشدالي: "هذا وصف الله تعالى بالقدم والبقاء وهما لازمان من وجوده"، كما أشار الإمام رحمه الله إلى وجود الخلاف في بقاء الله وقدمه هل يكون بنفسه أم بصفة⁽⁶⁾، والظاهر من كلامه أنه يذهب إلى أن الباري باقٍ وقدم بنفسه لا بصفة زائدة⁽⁷⁾، وهو أحد قولي الأشعري ومراجع إليه القاضي أبو بكر الباقلاني، قال عبد الجليل: "فأما القاضي - رحمه الله - فإنه بعد أن نصّر في سائر كتبه القول المتقدم وهو أن الباقي باقٍ بقاء حسب ما قاله أكثر شيوخنا رجع عن ذلك ونصّر القول بأن الباقي باقٍ لنفسه، قال - بعد كلام طويل أوردته -: ونعوذ بالله أن نكون ممن قصد الخلاف عن شيوخه ليذكر وإنما نصرنا ما اقتضاه الدليل وقامت عليه الحجة"⁽⁸⁾.

1- شرح المقدمة العقدية لمثن الرسالة القيروانية، اللوحة 13-أ.

2- المصدر السابق، اللوحة 13-ب.

3- المصدر السابق، نفس اللوحة.

4- سورة محمد، الآية 19.

5- انظر: شرح المقدمة العقدية لمثن الرسالة القيروانية، اللوحة 16-أ.

6- قال ابن سابق: "فقال مرة شيخ السنة أبو الحسن أن الله - تعالى - باقٍ بقاء وأن بقاءه بقاء لنفس البقاء ولذاته - تعالى - ولسائر صفاته، وقال مرة أخرى: بل كل صفة باقية بقاء وكذلك ترجح قول القاضي إمام السنة ولسان الأمة - رضي الله عنه - والذي أذهب إليه من قوليهما - رضي الله عنهما - أنه - تعالى - باقٍ لنفسه". الحدود الكلامية والفقهية على رأي أهل السنة الأشعرية ومعه مسألة الشارع في القرآن، أبي بكر محمد بن سابق الصقلي، ص: 124، ت: محمد الطبراني، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة: الأولى، 2008م.

7- انظر: شرح المقدمة العقدية لمثن الرسالة القيروانية، اللوحة 27-ب.

8- التسيديد في شرح التمهيد، عبد الجليل الزبيعي القيرواني، اللوحة 58-أ، مخطوط محفوظ بالمكتبة السليمانية، تركيا، مسجل تحت رقم: 368.

ثم ذكر الإمام المشدّالي دليل مخالفة الباري للحوادث ووجوب تنزيهه وأنه - سبحانه - لا يشبه ولا يماثل شيئا من الأشياء لاستلزامه حدوث الباري⁽¹⁾، ومن تنزيه الباري نفى الحدّ عنه⁽²⁾، وكذا تنزيهه عن الجهة والمكان، قال المشدّالي: "يجب اعتقاد أنّ الله تعالى تستحيل عليه الجهة والمكان والتحول والزوال"⁽³⁾، وتنزيهه عن جميع صفات الأجسام كالحركة والسكون وغيرها. سلك الإمام المشدّالي مسلكا آخر في إثبات وحدانية الله غير مسلك التّمانع وهذا المسلك يقوم على إثبات افتقار الإله لو جاز التعدد ووجوب الغنى إذا ثبتت وحدانية الإله، كما أشار أيضا إلى أنّ وحدانية الذات تستلزم نفى الأجزاء والأبعاد والاتصال والانفصال عن الباري - سبحانه -⁽⁴⁾.

بعد الانتهاء من الكلام عن وجود الباري والصفات السلبية نتقل للحديث عن صفات المعاني، ونبتدأ بتعريفها قال المشدّالي: "فالصفة المعنى القائم بالذات"⁽⁵⁾، وقد سلك في الاستدلال على وجوب اتصاف الباري بالقدرة والعلم والإرادة مسلك الإيجاد والتخصيص فقال: "ويلزم من إيجاده وتخصيص المتماثلات بالأوقات والأحيان والصفات العرضية واختلاف المختلفات كونه قادرا علما مريدا لاستحالة الإيجاد والتخصيص على من ليس بقادر ولا عالم ولا مريد"⁽⁶⁾، ونلاحظ أنّ الإمام المشدّالي ابتدأ بصفة القدرة لذلك لا بأس من التنبيه إلى اختلاف أشاعرة الغرب الإسلامي خصوصا وأئمة أهل السنة عموما في ترتيب الصفات الثبوتية⁽⁷⁾، والسبب في ذلك أنّ بعضهم ابتدأ بصفة القدرة ثم الإرادة ثم العلم ثم الحياة⁽⁸⁾، وابتدأ بعضهم بالإرادة ثم القدرة ثم العلم ثم الحياة⁽⁹⁾، وابتدأ بعضهم بالقدرة ثم العلم ثم الإرادة ثم الحياة⁽¹⁰⁾، إلى غير ذلك، ونجد أنّ الإمام المشدّالي قد سلك في هذا سبيل إمام أهل السنة والجماعة أبي الحسن الأشعري⁽¹¹⁾، لأنّ أشاعرة الغرب الإسلامي في العموم يلتزمون أقواله وآراءه.

1- انظر: شرح المقدمة العقديّة لمثن الرسالة القيروانية، اللوحة 27-ب.

2- قال المشدّالي: "مما يدل على ثبوت العجز عن الإحاطة بكنه ذات الله وعظمته أنّه لو أحيط به لزم أن تكون له غاية وحدّ وذلك من صفات الأجسام وهو محال على الله تعالى". المصدر السابق، اللوحة 18-ب.

3- المصدر السابق، اللوحة 58-أ، وانظر: اللوحة 21-أ.

4- انظر: المصدر السابق، اللوحة 16-ب، 17-أ.

5- المصدر السابق، اللوحة 24-أ.

6- المصدر السابق، اللوحة 16-ب.

7- قال عبد الجليل: "اختلف الناس في ترتيب أدلة هذا الباب واختلف قول الشيخ أبي الحسن في ذلك فقال مرة الواجب في الترتيب البداية بذكر الدليل على إثبات القدرة قبل ذكر الدليل على إثبات سائر الصفات... وقال الشيخ أبو الحسن أيضا قولا آخر أنّ الدليل الذي يدل على إثبات القدرة هو الذي يدل على إثبات العلم والإرادة وعلى هذا القول لا يوجب الترتيب الذي ذكرناه أولا والترتيب الأول هو الذي اختاره الشيخ القاضي -رحمه الله- في بعض كتبه". التسديد، اللوحة 46-ب، 47-أ.

8- انظر: الأنوار في معرفة الجبار، أبو القاسم الأبي، اللوحة 65-66-67-أ، مخطوط محفوظ بالمكتبة الظاهرية، دمشق - سوريا، مسجل تحت رقم: 1424.

9- انظر: عقيدة المرادي، ص: 193.

10- انظر: الكتاب المتوسط في الاعتقاد والزّد على من خالف السنة من ذوي البدع والإلحاد، القاضي أبو بكر بن العربي، ص: 182، ت: عبد الله التّوراني، الناشر: دار الحديث الكتانية، الطبعة: الأولى، 2015م.

11- قال السبكي -في وصف المغاربة-: "يستصعبون مخالفة الإمام أبي الحسن الأشعري ويرونها هجنة عظيمة". طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد بن تقي الدين السبكي، 192/5، ت: محمود محمد الطناحي - عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1413هـ.

أما صفة السَّمْع والبصر والكلام فقد سار فيها الإمام المشدائي على خطى أئمة أهل السُّنَّة في التَّعويل على دليل النَّقل مع الإشارة إلى الدَّلِيل العقلي، قال المشدائي: "وهو بصير متكلم إمَّا بدليل السَّمْع أو لأنَّ انتفاءه نقص والتَّقص على الله تعالى محال" (1)، ويذهب الإمام إلى ما يذهب إليه أئمة أهل السُّنَّة من أنَّ الكلام هو المعنى القائم في النَّفس (2)، وحَّدَه ما كان المتكلم به متكلمًا وهو من أوصاف المحلِّ التي ترجع أحكامها إلى محالِّها وكذلك جميع أوصاف الأحياء من العلم والإرادة والقدرة ونحوها (3)، وقد تعقب الإمام الضَّير هذا الحدَّ، بقوله: "وحَّدَه بعضهم بأن قال: هو ما كان المتكلم به متكلمًا، وهذا فيه نظر لأنَّ تفسير المحدود بما هو من لفظه مضاهٍ لإعادة اللَّفظ بعينه فلا يستقيم الحدَّ" (4)، وصحَّح الضَّير ما حدَّه به بعض المتكلمين في قولهم: "هو الصِّفَة التي ينتفي الخرس والسَّكوت لوجودها بذاته" (5)، وينزه الإمام كلام الله عن الحرف والصَّوت قال المشدائي: "وقال أهل السُّنَّة خلق الله لموسى فهما في قلبه وسمعا في أذنيه سمع بهما كلاما ليس بصوت ولا حرف" (6)، وقد ذكر الإمام الدَّلِيل على قِدَم كلام الباري خصوصا (7)، وصفاته عموما قال المشدائي: "فإن قيل ما الدَّلِيل على قِدَم صفاته -تعالى- ومسمياته؟ قلنا: لأنَّها لو كانت حادثة للزم قيام الحوادث به وأن لا يكون -سبحانه- عالما ولا قادرا قبل حدوث الصِّفَات والمسميات ولكانت مفتقرة إلى فاعل ضرورة والافتقار ينافي الإلهية" (8)، وفي هذا الذي ذكره مخالفة لمذهب الكرامية ومن تبعهم في تجويز قيام الحوادث بالذَّات العلية.

ومَّا يتصل بالحديث عن صفات الباري الكلام عن الظَّواهر المشكَّلة الواردة في الكتاب والسُّنَّة من إضافة اليد والوجه والاستواء والتَّزول والجيء لله وفي هذا يذكر الإمام المشدائي أنَّ مذهب السَّلف هو تفويض الأمر فيها لله والتَّصديق بما أراد على الوجه الذي أراد (9)، لكن نلاحظ أنَّه يسلك مسلك التَّأويل فيها ومن ذلك تأويله إضافة الغضب لله (10)، والجيء (11)، والاستواء (12)، وغيرها. وبعد بيان ما يجب لله وما يستحيل في حقه ننتقل لبيان ما يجوز في حق الباري -سبحانه- ومن ذلك رؤيته في الآخرة وهو الذي ذهب إليه أهل السُّنَّة قاطبة دون اختلاف بينهم، قال المشدائي: "إنَّ النَّاس اختلفوا في جواز رؤية الله تعالى فمذهب أهل الحق أنَّه

1- شرح المقدمة العقدية لمن الرِّسالة القيروانية، اللُّوحة 16-ب.

2- انظر: شرح المقدمة العقدية لمن الرِّسالة القيروانية، اللُّوحة 25-ب.

3- قال ابن العربي: "هذا مذهب الشَّيخ أبي الحسن -رحمه الله- وهو الصَّحيح". انظر: المتوسط، ابن العربي، ص: 213.

4- جزء فيه الكلام على القائلين بأنَّ التَّلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء للإمام أبي الحجاج الضَّير، مخطوط محفوظ بمكتبة شهيد علي باشا باسطنبول، تركيا، ضمن مجموع، مسجل تحت رقم: 2822، اللُّوحة 02-أ.

5- جزء فيه الكلام على القائلين بأنَّ التَّلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء، اللُّوحة 02-أ، وانظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، أبو بكر الباقلائي، ص: 23، ت: محمد زاهد الكوثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، الطَّبعة: الثانية، 2000م.

6- شرح المقدمة العقدية لمن الرِّسالة القيروانية، اللُّوحة 25-ب.

7- انظر: المصدر السَّابق، اللُّوحة 26-أ.

8- المصدر السَّابق، اللُّوحة 25-أ.

9- انظر: المصدر السَّابق، اللُّوحة 58-أ.

10- انظر: المصدر السَّابق، اللُّوحة 09-ب.

11- انظر: المصدر السَّابق، اللُّوحة 58-أ.

12- انظر: المصدر السَّابق، اللُّوحة 23-أ.

يجوز أن يُرى⁽¹⁾، وهذا خلافاً للمعتزلة والخوارج ومن وافقهم من الشيعة وغيرهم⁽²⁾، الذين قالوا باستحالة رؤية الباري⁽³⁾، لذلك كان أول ما اشتغل به أهل السنة بيان أنّ رؤية الباري من الجائزات وليس من المستحيلات ودليله سؤال موسى -عليه السلام-⁽⁴⁾ فلو كانت الرؤية تقتضي حدوث المرئي لم يسألها موسى لأنّ أهل الملل متفقون على أنّ رسل الله وأنبياءه أعلم خلق الله بما يجوز على الباري وما يستحيل عليه فلو كانت الرؤية مستحيلة عقلاً لم يسألها لأنه يعلم أنّ قدرة الباري لا تتعلق بالمستحيلات وإنّما تتعلق بالممكنات فقط⁽⁵⁾، وفيه أيضاً أن يكون المعتزلة ومن وافقهم أعلم بالله من موسى -عليه السلام- لأنّهم علموا استحالة الرؤية ولم يعلمها موسى⁽⁶⁾، قال الإمام المشدّلي: "وأما سؤال الرؤية مع العلم بامتناعها فلا يليق عقلاً"⁽⁷⁾، ومّا يدلّ على جواز الرؤية عقلاً أنّه -تعالى- موجود وكل موجود تجوز رؤيته لأنّه لا يرى لكونه قديماً لرؤية المحدثات، ولا لكونه محدثاً لرؤية الباقيات، ولا لكونه صفة لرؤية الموصوفات، ولا لكونه موصوفاً لرؤية الموصوفات، وفي رؤيتنا لذلك كله دليل على أنّه إنّما جازت رؤيته لأجل وجوده، ومّا أنّه قد ثبت بأنّه -سبحانه- واجب الوجود جازت رؤيته⁽⁸⁾.

ومع تقرير الإمام المشدّلي للدليل العقلي على جواز رؤية الله إلّا أنّه يذهب إلى التعويل في هذه المسألة على الدليل النقلي، قال المشدّلي: "فالتحقيق الالتجاء إلى السمع وذلك من وجوه"⁽⁹⁾، ثمّ مضى يذكر الآيات القرآنية التي فيها دلالة على جواز رؤية الباري.

ومن الجائزات أفعال الباري وما يتصل بها من مسائل وعلى رأسها علاقة الفعل الإنساني بالفعل الإلهي، فقد اتفق سلف هذه الأمة قبل ظهور البدع والأهواء واضطراب الآراء على أنّ الخالق المبدع ربّ العالمين، ولا خالق سواه، ولا مخترع إلّا هو فالحوادث كلها حدثت بقدرة الله -تعالى- ولا فرق بين ما تعلقت قدرة العباد به، وبين ما تفرد الربّ بالاقتدار عليه، ويخرج من مضمون هذا الأصل، أنّ كل مقدور لقادر فالله -تعالى- قادر عليه وهو الذي اخترعه وأنشأه وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، واتفقت المعتزلة ومن تابعهم من أهل الأهواء على أنّ العباد خالقون لأفعالهم مخترعون لها بقدرتهم، واتفقوا أيضاً على أنّ الربّ لا يتصف

1- المصدر السابق، اللوحة 54-ب.

2- قال عياض: "مذهب أهل السنة أجمعهم جواز رؤية الله عقلاً ووجوبها في الآخرة للمؤمنين سمعاً، نطق بذلك الكتاب العزيز وأجمع عليه سلف الأمة ورواه بضعة عشر من الصحابة بألفاظ مختلفة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- خلافاً للمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة، إذ نفوا ذلك". إكمال المعلم، 541/1، قال الآمدي: "وأما المعتزلة، والخوارج، وجماعة من الرافضة، فقد أجمعوا على امتناع رؤية الباري عقلاً لذوي الحواس"، أبحاث الأفكار، 491/1.

3- قال الأبي: "واختلف الناس في رؤية الله -تعالى- بالأبصار هل هي جائزة أو مستحيلة؟ فقال أهل الحق والسنة من الفقهاء وأصحاب الحديث وجميع الأصولية الأشعرية أنّ رؤية الله -تعالى- جائزة من جهة العقل وأنّ الشرع قد جاء بالخبر عن الله -تعالى- بأنّه لا بدّ أن يرى بالأبصار وقال أكثر أهل الضلال والبدع أنّ رؤية الله -تعالى- بالأبصار مستحيلة من جهة العقل وأنّ الشرع قد أكد ما دلّ عليه العقل من ذلك". الأنوار، اللوحة 108-ب.

4- في قوله تعالى: { قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ } [سورة الأعراف - الآية 143].

5- انظر: ابن طلحة الباري ومختصره في أصول الدين، محمد الطبراني، ص: 167، الناشر: الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، الطبعة: الأولى، 2013م، الأنوار، اللوحة 108-ب، المتوسط، ابن العربي، ص: 170.

6- انظر: التمهيد، الباقلاني، ص: 266.

7- شرح المقدمة العقدية لمن الرسالة القيروانية، اللوحة 56-ب.

8- انظر: المصدر السابق، اللوحة 54-ب.

9- المصدر السابق، اللوحة 55-أ.

بالاقتدار على مقدور العباد، كما لا يتصف العباد بالاقتدار على مقدور الرب -تعالى- ثم المتقدمون منهم كانوا يمتنعون من تسمية العبد خالقاً لقرب عهدهم بإجماع السلف على أنه لا خالق إلا الله -تعالى- ثم تجرأ المتأخرون منهم وسموا العبد خالقاً على الحقيقة والباري خالق على المجاز⁽¹⁾، قال المشدالي: "وخالفت القدرية لاعتقادهم أن العبد مستقل بخلق أفعاله"⁽²⁾، وبعد أن أقام الإمام المشدالي الدلالة على إبطال مذهب المعتزلة وبيّن أدلة أهل السنة في بيان خلق أفعال العباد وأنّ المخترع على الانفراد المتوحد بالإحداث والاستبداد هو الإله دون العباد، انتقل إلى بيان أنّ العبد مكتسب لأفعاله، والكسب هو طريق وسط سلكه إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري بين المعتزلة القائلين أنّ العبد خالق لأفعاله محدث لحركاته وسائر أعماله وبين الجهمية والجبرية القائلين أنّه لا قدرة لأحد من الخلق ولا اختيار ولا استطاعة وأنّه في أفعاله وأحواله كالالباب الذي يُردّ أو الشجرة التي تحركها الريح⁽³⁾، وبذلك تنزه أهل السنة عن القدر واعتصموا عن الجبر وقالوا إنّ الله -تعالى- هو الخالق للأفعال الموجودة بالإنسان المخترع لها المستبدّ بالإيجاد والإحداث فيها وللعبد قدرة واختيار وكسب لا خلق له فيه⁽⁴⁾، قال المشدالي: "الكسب كلّ فعل وُجد مخترعاً لله وتعلقت به قدرة حادثة للعبد"⁽⁵⁾، وهذه القدرة للمخلوق هي التي تكسبه الفرق بينه وبين المضطر الملجأ إلى ما يوجد بذاته من أفعال غيره، وهذه القدرة غير مؤثرة في مقدورها وإنّما تؤثر في نفس القادر بها، فثبت هذا الذي يجده الإنسان من الفرق بين الحركة التي تقع بقصده وبين الحركة التي يضطرّ إليها، هو معنى كونه قادراً⁽⁶⁾، أمّا تسمية ما يقع من خلق الله في العبد من أفعاله مقروناً بعلمه وقدرته وإرادته بالكسب فإنّما هو تيمناً وتمسكاً بكتاب الله -تعالى- في قوله {جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}⁽⁷⁾، ونفوا عن العبد حقيقة الفعل والعمل حين وردت إضافته إليه في كتاب الله وسنة نبيه -صلّى الله عليه وسلّم-⁽⁸⁾، لأنّ حقيقة العمل والفعل وهو الإيجاد ليس له، أمّا أنّ الفعل يقع من العبد ويوجد به فهو السبب في إضافته إليه حقيقة، ولذلك لم يجد علماؤنا أفضل من لفظ الكسب للتعبير عن هذا المعنى البديع⁽⁹⁾.

- 1- انظر: اللّمع في الردّ على أهل الزيغ والبدع، أبو الحسن الأشعري، ص: 69، ت: محمود غرابية، الناشر: مطبعة مصر، الطبعة، الأولى، 1955م، التمهيد، الباقلائي، ص: 303، الإرشاد، الجويني، ص: 187، المتوسط، ابن العربي، ص: 261.
- 2- شرح المقدمة العقدية لمن الرّسالة القيروانية، اللّوحة 32-أ.
- 3- قال الآمدي: "مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري هو الطّريق العدل، والمسلك المتوسط بين طرفي الجبر المحض، وإثبات خالق غير الله بتوفيقه بين دليل إثبات القدرة الحادثة، ودليل انتفاء خالق غير الله -تعالى-". أ بكر الأفكار، 424/2.
- 4- انظر: المتوسط، ابن العربي، ص: 270.
- 5- شرح المقدمة العقدية لمن الرّسالة القيروانية، اللّوحة 32-أ، وانظر: المتوسط، ابن العربي، ص: 270.
- 6- انظر: عقيدة المرادي، ص: 274، مختصر الياياري، ص: 179.
- 7- سورة التّوبة - الآية 83.
- 8- من ذلك قوله -تعالى-: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. سورة السّجدة - الآية 17، قال الأبي: "نسب الأعمال إلى العباد على معنى أنّهم يكتسبونها ووعدهم على فعل الحسن منها بالتّواب وأوعدهم على فعل القبيح منها بالعقاب". الأنوار، اللّوحة 118-أ.
- 9- انظر: شرح المقدمة العقدية لمن الرّسالة القيروانية، اللّوحة 32-ب.

ومّا يتصل بالكلام في هذه المسائل الكلام عن الأجل فالمقصود به عند أهل السنة عبارة عن الوقت الذي علم الله فيه المنيّة وقدرها وأرادها، فلا حيوان ولا إنسان إلّا وأجله معلوم لا يتعداه ولا يسبقه والميت والمقتول في هذا سواء⁽¹⁾، قال المشدّالي: "فمن مات من الحيوان حتف أنفه أو مقتولا أو غريقا فذلك أجله وقالت المعتزلة كلّ حيّ له أجلان أجلّ معلوم لله تعالى أنّه يُقتل فيه المقتول وأجل يعلم أنّه لو لم يُقتل فيه لبلغ إليه"⁽²⁾، وهذا خطأ عند أهل السنة بل نقول أنّ المقتول إذا قُدّر عليه في علم الله أنّه يُقتل فإنّه يُقتل لا محالة لأنّه هكذا قُدّر عليه، قال الياقوبي: "فإن قيل: رأيت لو لم يُقدّر ذلك عليه ما كان يكون؟ فالجواب أن نقول: لا يُدرى ما كان يكون في علم الله السّابق له أن لو لم يسبق له ما سبق، ولا بدّ من نفاذ ما سبق، هكذا حدثنا به أبو الوليد الباجي الإمام الحافظ -رحمه الله- وهو مذهبه في تواليفه"⁽³⁾، وهذا جواب قاطع والله الحمد.

ومن ذلك أيضا الكلام في الهداية والضلال وذلك أنّ نصوص الكتاب ناطقة بأنّ الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، قال المشدّالي: "الهداية عند أهل السنة حقيقة في خلق العلم وابتداع المعرفة والإضلال خلق ضدّ المعرفة وهذا مبنيّ على الأصل السّابق في كونه لا فاعل إلّا الله"⁽⁴⁾، يشير المشدّالي إلى أنّ هذه المسألة مبنية على مذهب أهل السنة في خلق أفعال العباد، واعترض المخالفون لأهل السنة من أهل الإسلام وغيرهم بأن قالوا: كيف جاز عندكم أن يخلق الله -تعالى- في عباده الكفر والمعاصي ويعاقبهم على ما خلقه فيهم؟، وقد أجاب أشاعرة الغرب الإسلامي وأهل السنة عموما عن هذا بأن قالوا: إنّ الرّب لا يعاقب العصاة والكفار على ما خلقه فيهم من أجل خلقه فيهم ولكن يعاقبهم على ما اكتسبوه وعصوه في اكتسابه، فالله -تعالى- يعذب العصاة على ما علم وقوعه وحدوثه لا من أجل أنّه علم ذلك ولكن لأجل أنّهم عصّوه وفعلوا ما نهاهم عنه⁽⁵⁾، والباري في هذا كلّ غير جائز ولا ظالم بل هو عادل متفضل لأنّ الله لا يدخل تحت رسم أو حدّ فنقول إنّّه تجاوز الحد أو تعدى الرّسم، بل هو - سبحانه- يفعل ما يشاء⁽⁶⁾، قال تعالى: {وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}⁽⁷⁾، قال المشدّالي: "فهذه المهتدي وسلوكه طريق الخير إنّما هو بفضل الله تعالى إذ ليس ذلك عوضاً عن شيء ولا سابقة استحقاق للعبد ولا يجب ذلك على الله تعالى فهو فضل محض والإضلال والخذلان عدلٌ منه والعدل ما للفاعل أن يفعله من غير حَجَرٍ عليه والله تعالى مالك لجميع

1- انظر: عقيدة المرادي، ص: 287، الرسالة الوافية، الدّاني، ص: 36.

2- شرح المقدمة العقدية لمن الرسالة القيروانية، اللّوحة 33-أ.

3- مختصر الياقوبي، ص: 185، قال عبد الجليل: "فإن قيل: أفتقولون أنّ المقتول لو لم يُقتل لمات، أو تقولون لو لم يقتل لعاش، قلنا: ما لم يكن لو كان كيف يكون قد انفرّد الله -تعالى- بعلمه ولا يعلمه أحد من خلقه وليس لنا أن نقطع على علم ما لم يكن لو كان كيف يكون إلّا أن يخبرنا الله -تعالى- بذلك كما أخبرنا عن أهل النّار بأنهم لو ردّوا لعادوا لما نَحُوا عنه فهذا ممّا نقطع عليه وكما أخبرنا عن علم من يوافي على الكفر أنّه لا يؤمن ولو جاءت كلّ آية". التّسديد، اللّوحة 86-أ، للمزيد انظر: التّمهيد، الباقلاني، ص: 332، الإرشاد، الجويني، ص: 361، أبكار الأفكار، الآمدي، 211/2، شرح المواقف، الجرجاني، 173/8.

4- شرح المقدمة العقدية لمن الرسالة القيروانية، اللّوحة 31-أ.

5- انظر: الأنوار، الأبي، اللّوحة 120-أ، الرسالة الوافية، الدّاني، ص: 33.

6- انظر: مختصر الياقوبي، ص: 186.

7- سورة إبراهيم - الآية 29.

الأشياء ولا حَجَرَ عليه ولهذا قال تعالى: { وَمَا رُبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ }⁽¹⁾، وهذا خلافاً لمذهب المعتزلة في قولهم أن الله لا يُضِلُّ لأن هذا قبيح وأنه يجب عليه رعاية الصَّلاح والأصلح.

4/ النبوات عند ناصر الدين المشدالي: لقد تناول أهل السنة الأشاعرة عموماً وأشاعرة الغرب الإسلامي خصوصاً مبحث النبوات بشيء من التفصيل خاصة عند الكلام على المعجزة وشروطها وبيان إعجاز القرآن الكريم، ولكننا نلاحظ أن معظمهم كان يقوم بتمهيد هذا المبحث بمقدمة فيها بيان حاجة الإنسان إلى النبي، وذلك قبل الكلام عن حد النبوة والرسالة وما يتعلق بهما من أحكام، قال المشدالي: "إن قيل ما فائدة البعثة؟ قلنا: فائدتها وقوع المقدور ونفوذها على وفق العلم مع الإعذار وقطع حجة العباد وفي الشك وإثبات اليقين والتعريف بنفس مجوزات العقول ورحمة للعباد ولتلاوة آيات الله على العباد"⁽³⁾، وفوائد البعثة والرسالة كثيرة وليس الغرض هنا الكلام عنها أما المعنى الاصطلاحي للنبوة والرسالة فلا بد من التنويه بالمعنى اللغوي لهما أولاً حتى يتبين المعنى جيداً ويتوضح المقصود.

كلمة نبي في اللغة تقع على وجهين: بالهمز وبدون همز، أما بالهمز فهي مأخوذة من النبأ وهو الخبر وأما بدون همز فهي مأخوذة من النبوة وهو ما ارتفع من الأرض، تقول العرب: نبا الشيء عن الشيء أي: ارتفع عنه⁽⁴⁾، فالنبي بالمعنى الأول: هو المخبر عن الله - تعالى -، وعلى الثاني: هو العالي المنزلة عند الله⁽⁵⁾، وأما الرسول فهو مأخوذ من المتابعة والتتابع ومنه قولهم: جاء الناس أرسالاً إذا تبع بعضهم بعضاً، قال المشدالي: "على رسلك أي تابع ما أنت فيه بما كنت عليه وهذا الاشتقاق يصح إطلاق الرسول على النبي لأن الصَّلاح درجة في الرِّفعة وعلى الإخبار بالغيب درجة عظيمة لكن الأمة اتفقت على أن كل رسول نبي من غير عكس"⁽⁶⁾، وقد نبّه أشاعرة الغرب الإسلامي أن النبوة ليست صفة ذاتية بل هي عبارة عن اتصال خطاب الباري - سبحانه - بالنبي والرسول⁽⁷⁾، وسبب التنبيه على هذه الجزئية إحداهن الكرامية القول بأن النبوة والرسالة معنيان قائمان بالرسول والنبي غير إرسال الله إياه وغير عصمته وغير معجزته وغير أمره بالتبليغ، وبذلك فرقوا بين الرسول والمرسل إلى غير ذلك مما يطول شرحه من مذهبهم⁽⁸⁾، والحق ما عليه جماعة أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية أن النبوة والرسالة اصطفاة من الباري لعبده، فالنبوة ليست صفة ذاتية بل هي موهبة

1- سورة فصلت - الآية 46.

2- شرح المقدمة العقدية لمن الرسالة القيروانية، اللوحة 05-ب.

3- المصدر السابق، اللوحة 36-أ.

4- انظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور، 118/3، ت: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م، شرح المقدمة العقدية لمن الرسالة القيروانية، اللوحة 34-أ.

5- انظر: مقالات الأشعري، ابن فورك، ص: 180، المتوسط، ابن العربي، ص: 319-320.

6- شرح المقدمة العقدية لمن الرسالة القيروانية، اللوحة 33-ب.

7- انظر: المتوسط، ابن العربي، ص: 321.

8- للمزيد انظر: أصول الدين، البغدادي، ص: 173، الشفاء، القاضي عياض، 251/1.

من الله ونعمة يختص بها من يشاء من عباده⁽¹⁾، قال المشدّالي: "النّبوة والرّسالة ليستا بصفتين ذاتيتين وإتّما هما عبارتان عن إيصال خطاب الله تعالى بالنبيّ والرّسول"⁽²⁾، وقد تطرق الإمام إلى مسألة تفضيل الملائكة على الأنبياء وأشار إلى الخلاف الحاصل فيها، قال المشدّالي: "ومّا اختلّف فيه تفضيل الملائكة على الأنبياء فقال أصحاب الحديث وطائفة من المتكلمين وجميع الشيعة الأنبياء أفضل على جميعهم السّلام ... قال شيخنا عزّ الدّين يقع بالمعارف والأحوال والطّاعات وبكثرة إحسان الخالق للمخلوق وإن لم يكن ممّا تقدم وقد أحسن الله تعالى إلى النّبيين والمرسلين وفصّل المؤمنين بالمعارف والأحوال والطّاعات ونعيم الجنان ورضى الرّحمن ولم يثبت ذلك للملائكة"⁽³⁾، والظاهر من كلام الإمام أنّه يتابع شيخه العز بن عبد السّلام في هذه المسألة، والله أعلم.

وإذا قد تبين لنا معنى النّبوة والرّسالة وأتّما اصطفاء من الله لعباده انتقلنا لبيان حكم النّبوة وهي عند أشاعرة الغرب الإسلامي وأهل السّنة على العموم جائزة عقلا خلافا لمن أوجبها من المعتزلة ومن وافقهم⁽⁴⁾، وخلافا لمن أحالها من طوائف البراهمة والصّابئة وغيرهم⁽⁵⁾، قال المشدّالي: "والحق جواز بعث الرّسل لأنّه لو غرض على العقل ما أحاله ولأنّه لو لم يجز لما وقع ودليل وقوعه بعثة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلّم-"⁽⁶⁾، ثمّ مضى الإمام في إقامة الدّالة على صحة نبوة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلّم- من خلال الخوض في بحث المعجزة.

والمعجزة هي آلة التّمييز بين الحق والمبطل في دعواه النّبوة والرّسالة لأنّ المعارضة للرّسول صحيحة والدّعوى له بمثل مقالته ممكن، وذلك أنّ مدّعي الرّسالة لا يخلو من ثلاثة أقسام: إمّا أن يأتي بأفعال معتادة كالأكل والشّرب وادّعى أنّها معجزة له فدعواه باطلة، أو يأتي بأفعال يتوصل إليها بالحيل والتّعليم كالكتابة والبناء والسّحر وادّعى أنّها معجزة له فدعواه باطلة أيضا، أو يأتي بأفعال خارقة للعادة كإفلاق البحر وانشقاق القمر وادّعى أنّها معجزة له فدعواه صادقة لانفراد الباري -سبحانه- باختراعها وإظهارها على وفق دعواه⁽⁷⁾، قال المشدّالي: "فإن قيل: ما المعجزة؟ قلنا: هي الآية الدّالة على صدق صاحبها، وأوّل ما قيل في تحديد المعجزة أن يُقال هي معلوم خارق للعادة ظاهر على وفق دعوى النّبوة غير مكذّب ممتنع عقلا"⁽⁸⁾، وبعد بيان حقيقة المعجزة وشروطها يشير الإمام المشدّالي إلى وجه دلالتها على صدق الرّسول، وهذا المبحث من المباحث الصّعبة في علم الكلام وذلك باعتراف جملة من المتكلمين أنّه يعسر تحصيله، قال المشدّالي: "فإن قيل: ما وجه دلالة المعجزة على الصّدق؟ قلنا: اختلّف فيه فذهب قوم إلى أنّها

1- قال الآمدي: "الحق: ما ذهب إليه أهل الحق من الأشاعرة وغيرهم من أنّ النّبوة ليست راجعة إلى ذاتي من ذاتيات النبيّ ولا إلى عرض من أعراضه المكتسبة له لما سبق بل هي موهبة من الله -تعالى- ونعمة منه على عبده، وحاصلها يرجع إلى قول الله -عز وجل- لمن اصطفاه من عباده: أرسلتك، وبعثتك فبلغ عني". أ بكر الأفكار، 12/4.

2- شرح المقدمة العقديّة لمن الرّسالة القيروانية، اللّوحة 34-أ.

3- انظر: شرح المقدمة العقديّة لمن الرّسالة القيروانية، اللّوحة 73-أ.

4- قال المرادي: "ولا معنى لقول القدرية بوجوبها لأنّ العقول لا توجب شيئا ولا تحظره وسندلّ على ذلك في مكانه بما أمكن من برهانه -إن شاء الله-". عقيدة المرادي، ص: 206.

5- قال الزّازي: "الفصل الأوّل في جواز بعثة الرّسل، والخلاف مع البراهمة فإنّهم قطعوا باستحالتها". الإشارة في علم الكلام، ص: 300.

6- شرح المقدمة العقديّة لمن الرّسالة القيروانية، اللّوحة 34-ب.

7- انظر: أعز ما يطلب، ابن تومرت، ص: 222.

8- شرح المقدمة العقديّة لمن الرّسالة القيروانية، اللّوحة 35-أ.

تجري مجرى أدلة العقول لأنها لو دلت من جهة العادة لأمكن خرقها، وذهب قوم إلى أنّ المعجزة إما أن تدلّ من جهة العادة أو لا تدلّ لنفسها وإلا لكان كلّ خارق دالاً على الصدق⁽¹⁾، وذهب بعض الأئمة إلى غير ما ذكره الإمام المشدالي قال الآمدي: "والذي ذهب إليه شيخنا⁽²⁾ والقاضي⁽³⁾ والمحققون من أصحابه أنّ دلالة المعجزة على صدق الرسول ليست دلالة عقلية، ولا سمعية"⁽⁴⁾، وإذا بطل كونها عقلية أو سمعية فنقول أنّ المعجزة من الدلالات الوضعية، قال الشريف أبو يحيى: "المعجزة من الدلالات الوضعية بالقرائن دون القسم الأول ولكنها غامضة المدرك ولذلك خفي أمرها على كثير من أرباب التحصيل"⁽⁵⁾، وبالانتهاء من مناقشة وجه دلالة المعجزة على صدق نبوة الأنبياء ينتهي ما وجدناه من كلام للإمام المشدالي في ما يتعلق بالنبوات.

5/ السّمعيّات عند ناصر الدين المشدالي: بعد الانتهاء من معالجة مسائل النبوات نتقل لباب مهم من أبواب العقائد وهو باب السّمعيّات، وخصوصية هذا الباب تعود لطبيعة الأدلة المستخدمة في إثبات مطالبه ومسائله، وقبل الخوض في مسائل اليوم الآخر نشير إلى بعض مسائل الأسماء والأحكام والوعد والوعيد التي أشار إليها الإمام المشدالي.

يذكر الإمام أنّ الإيمان على قسمين: لغوي وشرعي، أمّا اللّغوي فهو مطلق التصديق، قال المشدالي: "وأما الإيمان الشرعي فهو التصديق بوجود الله تعالى ووحدانيته وملائكته وكتبه ورسوله وكلّ ما جاء من عنده مع شرط العلم والإقدار والانقياد"⁽⁶⁾، ثمّ شرح هذه الشروط التي ذكرها فأشار إلى مذهب القاضي الباقلاني في إيمان الجاهل، وأشار إلى إيمان المكروه قال تعالى: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ}⁽⁷⁾، أمّا الانقياد فقال المشدالي: "الانقياد هو المعبر عنه بالإسلام لأنّ الإسلام قسمان: لغوي وشرعي، فاللّغوي الانقياد والاستسلام مطلقاً، والشرعي الانقياد والامتثال لأوامر الله تعالى ونواهيه"⁽⁸⁾، ثمّ أخذ الإمام يشرح الفرق بين الإيمان والإسلام والعلاقة بينها بعد هذا ذكر الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه وذهب إلى أنّه خلاف لفظي وليس حقيقي.

أمّا التّوبة فهي في اللّغة الرجوع والإنابة قال المشدالي: "وأما التّوبة في اصطلاح الموحدين فقليل هي تنزيه القلب عن الذّنوب"⁽⁹⁾، ثمّ أشار الإمام إلى تعريفات أخرى للتّوبة وإلى أنّها واجبة على الفور ولا يجوز تأخيرها وأنّه يصح التّوبة من بعض الذّنوب دون بعض، قال المشدالي: "تجب التّوبة على كلّ مكلف مؤمناً كان أو كافراً شرعاً لا عقلاً خلافاً للمعتزلة"⁽¹⁰⁾، ثمّ ذكر الإمام الأدلة من والسّنّة على وجوبها وعدم قبول توبة العبد عند الغرغرة أو بعد طلوع الشّمس من المغرب، ثمّ أشار الإمام إلى الاختلاف في القطع بقبول التّوبة على الله وخلاصة القول في ذلك أنّ توبة الكافر محبطة لذنبه بالإجماع أمّا العاصي فقد اختلف فيه أئمة أهل السّنّة

1- المصدر السابق، اللّوحة 35-أ.

2- أي: الأشعري.

3- أي: الباقلاني.

4- أبكار الأفكار، 25/4.

5- المباحث العقلية، اليفرنى، 1051/3.

6- شرح المقدمة العقدية لمن الرّسالة القيروانية، اللّوحة 12-ب.

7- سورة التّحل، الآية 106.

8- شرح المقدمة العقدية لمن الرّسالة القيروانية، اللّوحة 14-أ.

9- المصدر السابق، اللّوحة 42-أ.

10- المصدر السابق، اللّوحة 43-ب.

فمن قائل بالقطع بالقبول ومن قائل بأنه لا يقطع بذلك وإنما يغلب على الظن بالقبول⁽¹⁾، ثم تكلم الإمام عن جملة من الأحكام المتعلقة بالتوبة لا نطيل بذكرها.

والذنوب التي يجب التوبة منها والإقلاع عنها قسمان: صغائر وكبائر، قال المشدالي: "ومن العلماء من ضبط الكبائر بأن قال: كلّ ذنب اقترن به وعيد أو لعن فهو من الكبائر"⁽²⁾، كما ناقش الإمام صحة تقسيم الذنوب إلى صغيرة وكبيرة وضابط التفريق بينهما، ثم ذكر الإمام جملة من الكبائر المنصوص عليها وذكر أيضا مثالين على الصغائر⁽³⁾، ثم أقام الدليل على صحة تكفير الصغائر باجتناب الكبائر، قال المشدالي: "فإن قيل اجتناب الكبائر التي قصد بها المكلف يكفر الصغائر قطعاً أو ظناً، قلنا: اختلّف فيه كما اختلّف في تكفير السيئات بالتوبة ورجّح بعضهم الظنّ لأنّ العقل لا يوجب التكفير والأدلة التقلية محتملة"⁽⁴⁾، أمّا في حالة الإصرار على الكبائر وترك التوبة والموت على ذلك فإنّ مصيره إلى مشيئة الله كما هو مشهور من مذهب أهل السنة، قال المشدالي: "ومذهب أهل الحق في من ارتكب كبيرة ولم يتب أنّه في المشيئة ولو لم يرد شرع بوعده ووعيد لقطعنا بأنّ الله تعالى يفعل ما يريد"⁽⁵⁾، وذهبت الخوارج والمعتزلة إلى وجوب خلوده في النار وذهبت المرجئة إلى أنّه لا يضر ذنب مع الإيمان، ومذهب أهل السنة في هذه المسألة مبنية على عدم التكفير بالكبيرة قال المشدالي: "هذا مذهب أهل السنة خلافاً للخوارج القائلين بأنّ كلّ ذنب كبيرة وكلّ كبيرة محبطة للعمل ومرتكبها كافر وخلافاً للمعتزلة حيث قالوا كلّ ما يحبط العمل مرتكبه له منزلة بين منزلتين لا يسمى مؤمناً ولا كافراً"⁽⁶⁾، ومن الأحكام المتصل بهذه المسائل حكم أهل الفترة ومن لم يتعلق به تكليف فبعد أن ذكر الإمام مذاهب العلماء فيهم نجد أنّه يميل للقول بأنهم في مشيئة الله لأنّ الله أعلم بما كانوا عاملين⁽⁷⁾.

وبعد الانتهاء من معالجة مسائل الوعد والوعيد والأسماء والأحكام ينتقل الإمام لليوم الآخر وقضاياها وأول مسألة من مسائله هي وجوب التصديق بالسّاعة وأمورها وبعث من يموت وأنّ السّاعة اسم من أسماء اليوم الآخر⁽⁸⁾، ثم تحدّث الإمام عن أشراف السّاعة والاختلاف في ترتيبها وكذا الاختلاف في أول أشرافها⁽⁹⁾، وقبل أن يخوض الإمام في أدلة إثبات المعاد أشار إلى اختلاف أهل السنة في إعادة الأعراس⁽¹⁰⁾، أمّا بخصوص الدليل العقلي على إثبات المعاد فقد استند الإمام في تقريره إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾⁽¹¹⁾، ثم انطلق في سرد الأدلة التقلية في إثبات اليوم الآخر، قال المشدالي: "وأما أدلة النقل

1- انظر: المصدر السابق، اللوحة 44-أ.

2- المصدر السابق، اللوحة 46-أ.

3- انظر: المصدر السابق، اللوحة 47-أ.

4- المصدر السابق، اللوحة 48-أ.

5- المصدر السابق، اللوحة 49-أ.

6- المصدر السابق، اللوحة 64-ب.

7- انظر: المصدر السابق، اللوحة 50-أ.

8- انظر: المصدر السابق، اللوحة 38-أ.

9- انظر: المصدر السابق، اللوحة 39-أ.

10- انظر: المصدر السابق، اللوحة 39-ب.

11- سورة الزّوم، الآية 27.

فكثيرة منها قوله تعالى: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} (2) وقوله تعالى: {ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ} (3) إلى غير ذلك (4)، ثم ذكر الإمام جملة من الأحاديث التي فيها إثبات لليوم الآخر ورجوع الإنسان للحياة بعد موته.

بعد ذلك تطرق الإمام المشدالي إلى بعض القضايا المتصلة بالمعاد ومن ذلك معنى الروح والاختلاف في تعريفها والفرق بينها وبين النفس (5)، ومعنى الموت والاختلاف في تعريفه (6)، وعذاب القبر وفتنته وسؤال منكر ونكير قال المشدالي: "واعلم أنّ عذاب القبر من مجوزات العقول وأنّ الله قادر على إحياء الموتى وأمر الملكين بسؤاله وكلّ ما جوّزه العقل وشهدت شواهد السمع به لزم قبوله وقد بلغت الأخبار مبلغ التواتر" (7)، ثم ذكر الإمام جملة من الأخبار في هذه المسألة.

ومن المسائل التي لها علاقة باليوم الآخر الإيمان بوجود الميزان والصرّاط والحوض والشفاعة وأنّ الجنة والنار مخلوقتان الآن وقد أفاض الإمام المشدالي في ذكر الأخبار الواردة في ذلك والرد على من أنكرها أو تأولها (8)، كما أشار أيضا إلى وجود الاختلاف في ترتيبها ومن ذلك قوله: "فإن قيل: هل الحوض قبل الصرّاط أم الميزان أم كيف الترتيب فيها، قلنا: اضطرب العلماء في ذلك" (9)، ثم مضى يذكر مذاهب العلماء في ذلك.

وعلى عادة المتكلمين في الحديث عن الإمامة وما يتعلق بها من مسائل سار الإمام في معالجة بعض المسائل في هذا الباب ومن ذلك مسألة التفضيل بين الصحابة فبعد أن أشار إلى مذاهب العلماء والفرق في هذا نرى أنّه يميل إلى قول القاضي أبي بكر الباقلاني في ترك القطع بالتفضيل (10) فقد نقل كلامه بطوله وخلاصته أنّ المسألة اجتهادية، ثمّ مسألة الإمساك عمّا شجر بين الصحابة والتماس العذر لهم، قال المشدالي: "يُحْمَلُ الإمساك على العوام فإنّ فرضهم السكوت والتماس أحسن المخارج للخاصة فإنّ فرضهم البيان وإزالة الإشكال" (11)، ثمّ مسألة طاعة ولاية أمر المسلمين وأول الكلام فيها هو بيان وصف ولاية الأمور الشرعيين قال المشدالي: "أمرأ الحق الآمرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر وكان الخلفاء يقولون أطيعوني ما عدلت فيكم" (12)، ثمّ بعد ذلك يشير الإمام إلى فائدة هذا الأمر على المسلمين بقوله: "وطاعتهم حتم إذ بهم تُقام الأحكام وتُحفظ الفروج والأموال فيجب على

1- انظر: شرح المقدمة العقديّة لمن الرّسالة القيروانيّة، اللّوحة 40-ب.

2- سورة يس، الآية 79.

3- سورة العنكبوت، الآية 20.

4- شرح المقدمة العقديّة لمن الرّسالة القيروانيّة، اللّوحة 41-أ.

5- انظر: المصدر السّابق، اللّوحة 66-ب.

6- انظر: المصدر السّابق، اللّوحة 70-ب.

7- شرح المقدمة العقديّة لمن الرّسالة القيروانيّة، اللّوحة 68-أ.

8- انظر: المصدر السّابق، اللّوحة 52-أ، 53-أ، 59-أ، 61-ب، 62-أ.

9- شرح المقدمة العقديّة لمن الرّسالة القيروانيّة، اللّوحة 68-أ.

10- قال عبد الجليل: "وأما القاضي -رحمه الله- فإنّ مسألة التفضيل عنده مسألة اجتهاد وليست من المسائل التي يلزم معرفتها ويجب العلم بها". التسديد، 93-أ.

11- شرح المقدمة العقديّة لمن الرّسالة القيروانيّة، اللّوحة 74-ب.

12- المصدر السّابق، اللّوحة 76-أ.

جميع المسلمين بعد علمهم بوجوب طاعتهم الانقياد لهم⁽¹⁾، وخلاصة هذا الكلام أنّ طاعة ولاية الأمور فيها حفاظ على هذا الدين وشرائعه ومقاصده.

وفي ختام هذا المقال وبعد استعراض النصوص الكلامية للإمام أبي علي ناصر الدين المشدّالي نلاحظ أنّ الإمام قد عالج معظم المضامين العقّدية في مختلف الأبواب بأسلوب يدلّ على نبوغ ومعرفة بأقوال أهل السنّة ومن خالفهم من الفرق الإسلامية كالمعتزلة والإباضية والشيعة وغيرهم، والنصوص التي استشهد بها الإمام شاهدة على سعة اطلاعه وكثرة قراءته في كتب أهل السنّة والجماعة الأشعرية ويشير إلى تداول هذه الكتب في حاضرة العلم والعلماء مدينة بجاية مسقط رأسه وموطن وفاته.

قائمة المصادر والمراجع:

*/ المخطوطات:

1. الأنوار في معرفة الجبار، أبو القاسم الأبي، مخطوط محفوظ بالمكتبة الظاهرية، دمشق - سوريا، مسجل تحت رقم: 1424.
2. التّسديد في شرح التّمهيد، عبد الجليل الرّيعي القيرواني، مخطوط محفوظ بالمكتبة السّليمانية، تركيا، مسجل تحت رقم: 368.
3. تنبيه المعرضين عن أصول الدّين على المذهب الحقّ المبين وصفات ربّ العالمين، أبي محمد عبد الله بن إسحاق ابن التّبان، مخطوط محفوظ بمكتبة أيا صوفيا باسطنبول، تركيا، ضمن مجموع، مسجل تحت رقم: 2315.
4. جزء فيه الكلام على القائلين بأنّ التّلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء للإمام أبي الحجاج الصّريّ، مخطوط محفوظ بمكتبة شهيد علي باشا باسطنبول، تركيا، ضمن مجموع، مسجل تحت رقم: 2822.
5. شرح مقدمة الرّسالة، للشيخ الإمام العالم العلامة أبي علي ناصر الدين المشدّالي، مخطوط محفوظ بمكتبة كوبريلي-تركيا، مسجل تحت رقم: 846.
6. شرح مقدمة الرّسالة، ناصر الدين المشدّالي، مخطوط محفوظ بالخزانة الحمزاوية-المغرب، مسجل تحت رقم: 702.
7. شرح الرّسالة، أبو علي ناصر الدين المشدّالي، مخطوط محفوظ بمكتبة الأسكوريال تحت رقم: 1129.

*/ الكتب المطبوعة:

-أ-

8. الإحاطة في أخبار غرناطة، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب، النّاشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ.
9. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين الجويني، ت: محمد يوسف موسى، النّاشر: مكتبة الخانجي، مصر، 1950م.
10. إعجاز القرآن، القاضي أبو بكر أحمد بن الطّيب الباقلاني، ت: السيّد أحمد صقر، النّاشر: دار المعارف، مصر.

-ت-

11. برنامج المجاري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد المجاري الأندلسي، ت: محمد أبو الاجفان، النّاشر: دار الغرب الاسلامي - بيروت/ لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، 1982م/ 1400.

12. تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، تعريب: محمود فهمي حجازي، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، 1991م.
 13. تاريخ الزاوة، انظر: تاريخ الزاوة، محمد السعيد، أبو يعلى الزاوي، مراجعة وتعليق: سهيل الخالدي، الناشر: منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، الطبعة: الأولى، 2005 م.
 14. تاريخ الإسلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003م.
 15. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ت: مجموعة من المحققين، الناشر: مطبعة فضالة - الحمديّة، المغرب، الطبعة: الأولى.
 16. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1994 م.
- ث-
17. ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي، أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي، ت: عبد الله العمراني، الناشر: دار الغرب الاسلامي - بيروت/ لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، 1403هـ.
- د-
18. الحدود الكلامية والفقهية على رأي أهل السنة الأشعرية ومعه مسألة الشارع في القرآن، أبي بكر محمد بن سابق الصقلي، ت: محمد الطبراني، دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة: الأولى، 2008م.
 19. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ت: محمد عبد المعيد خان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد/ الهند، الطبعة: الثانية، 1392هـ/ 1972م.
 20. الدلالة في تاريخ علماء امشدة، مفتش التعليم القرآني إبراهيم مقلاتي، بدون معلومات الناشر، الطبعة: الأولى، الجزائر - 2005م.
 21. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ت: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.
 22. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، ت: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1410هـ/ 1990م.
- ر-
23. رحلة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، ت: محمد بن تاويت الطنجي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م.
 24. رحلة العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد ابن سعود العبدري، ت: علي إبراهيم كردي، الناشر: دار سعد الدين، الطبعة: الثانية، 2005م.
- ش-
25. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف، علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2003 م.
- ع-

26. العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ابن الملحق سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، ص: 342، ت: أيمن نصر الأزهرى - سيد مهني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م.
27. عنوان الدّرية فيمن عُرف من العلماء في المائة السّابعة ببجاية، أحمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو العباس الغبريني، ت: عادل نويهض، الناشر: منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة: الثانية، 1979م.
28. غاية التّهاية في طبقات القراء، شمس الدّين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، الناشر: مكتبة ابن تيمية.
- ف-
29. فهرس مخطوطات مكتبة كوبرلي، الناشر: منظمة التعاون الإسلامي، اسطنبول 1986م.
30. الفهرس الوصفى لمخطوطات خزانة الزّاوية الحمزية العياشية بإقليم الرّشيدية، حميد لحيمر، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة الأمانة-الرباط، 2009م.
31. فوات الوفيات، محمد بن شاكّر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكّر بن هارون بن شاكّر الملقب بصلاح الدّين، ت: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى
- ن-
32. الكتاب المتوسط في الاعتقاد والرّد على من خالف السّنة من ذوي البدع والإلحاد، القاضي أبو بكر بن العربي، ت: عبد الله التّوراتي، الناشر: دار الحديث الكتانية، الطبعة: الأولى، 2015م.
33. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، ت: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، 1997م.
34. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكي السوداني، أبو العباس، ت: عبد الحميد عبد الله الهرامة، الناشر: دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، الطبعة: الثانية، 2000 م.
- م-
35. المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا (تاريخ قضاة الأندلس)، أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن محمد ابن الحسن الجذامي التّباهي المالقي الأندلسي، ت: لجنة إحياء التّراث العربي في دار الآفاق الجديدة، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت/لبنان، الطبعة: الخامسة، 1403 هـ - 1983م.
36. مُعجمُ أعلام الجزائر - من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1400 هـ - 1980 م.
- */ المصادر والمراجع الأجنبية:

37. -Un extrait de la Hidayat d'abu bakr al-bakilani : Le Kitab at-tawallud , Réfutation de la thèse mutazilite de la génération des actes, bulletin d'études orientales 58 (2009) p : 259-313. Daniel Gimaret.

38. -Early As'arite Theology abu bakr al-bakilani (d :403/1013) and his Hidayat al-mustarsidin, bulletin d'études orientales, LX ,2011,Ifpo, Damas, p : 39-72. Sabine chmidtke.